# قبيل المنفى

عند ما اعلنت الحرب الكبرى كنا مع والدى فى تركيا فبرحناها على الفور عائدين الى مصر إذ أن الاشاعات وقتئذ فى الاستانة كانت تدل على أن تركيا سوف تدخل فى الملحمة . . . ولكن الحال كان قد تبدل فى مصر ! كذلك نظام الحكم ، فصار يخشى لقاء والدى أصدقاؤه الذين كانوا بالأمس ـ فى أيام بأسه ـ لا يتركون له ساعة للراحة من كثرة طلباتهم وحاجاتهم حتى اضطر فى أواخر أيام حكم سمو الخديو السابق الى أن يفتح لنفسه غير الباب العمومى باباً صغيراً متوارياً فى الحديقة ليفر منه ! وقد ذكر لنا أن صديقاً حميماً له شهده ـ بعد عودته من الاستانة ـ سائراً فى الطريق فانتقل هذا الصديق الى الرصيف المقابل حتى لا يتهم بمصافحته أحد رجال النظام القديم ! لذلك كم قابل والدى بارتياح حكم السلطة العسكرية فى ذلك الوقت حينما كلفته بمغادرة مصر لينجو من الدسائس ولا يتألم بمثل هذه المشاهد ، وهو الشاعر الشديد التأثر والاحساس ، وقد أشار الى ذلك فى قصيدته البائية التى نظمها بعد عودته من المنفى حيث قال :

وداعاً أرضَ أندلسٍ وهذا ثنائى إنْ رضيتِ به ثوابا
شكرتُ الفلك يوم حويتِ رحلى فيا لمفارقٍ شكر الغرابا!
فأنتِ أرحتنى من كل أنفٍ كأنفِ الميت فى النزع انتصابا !
ومنظرِ كلِّ خوّانٍ يرانى بوجهٍ كالبغىِّ رمى النقابا !

وأرى أن هذه الظاهرة التى لفتَ نظرى اليها والدى فى صغرى ما تزال باقية بل تغلغلت الى حدٍّ مؤلم وربما كانت مصر هى البلد الوحيد الذى يقبل الناس فيه بعضُهم على بعض بنسبة المنيفعة التى يستطيعون أن يحصلوا عليها ؟

حسين شوقى

احمد شـــوقى بك

فى كهولته